فى مستشفى الـكلاب

للأســـتاذ نقولا الحداد

قصدت بعـد أن عضنى الـكلاب إلى مستشفى الـكلاب المجاور للقصر العينى . وكان أول ما أدهش نفسى أن رأيت على باب المـكتب الداخلى لوحة كُتب عليها ما مفاده : — أنشأ هذا المستشفى الدكتور محمد باشا شاهين لعهد وزارة دولة صدقى باشا ، وقد افتتحه رسمياً المغفور له الملك فؤاد الأول فى ابريل سنة ١٩٣٢ . فقلت فى نفسى : كم كانت لشاهين باشا غفر الله له من مآثر جسام فى مصلحة الصحة قبل أن صارت وزارة ! وكان أول وزير لها ، ثم توفاه الله إلى جواره بعد بضعة أسابيع مأسوفاً عليه . (أقول هذا لأنى كنت على صلة صداقة خالصة به كل حياته . وكنت أذيع مآثره فى الجرائد والمجلات كما يعلم كثيرون من أصدقائه وأصدقائى

قدمت نفسى إلى مدير المستشفى؛ وكم كانت دهشتى عظيمة حين علمت أن هذا المدير هو الدكتور إبراهيم بك شاهين نجل المغفور له مؤسس هذا المستشفى . وعجبت أن ملامحه الرضية وسماحة محياه ووداعته استظهرت فى مخيلتى صورة أبيه محمد باشا — سبحان من خلق وسوَّى .

وكان الدكتور إبراهيم يتوقع قدومى لأنى رأيت أن نبأ عقر الـكلاب لى قد سبقنى إلى المستشفى وسُجل فى سجل « الحجاج » إليه . ورأيت فيه اسمى وعنوانى وحادث الـكلاب نفسه الذى عقرنى . فعجبت من هذه العناية والتدقيق فى تناول المعلومات عن حوادث الـكلاب من مستشفى الـكلاب فى العباسية تلفونياً كل يوم . فقلت له : « هب أنى لم آت إليكم للعلاج » قال « نطالبك أولا وثانياً فإن لم تأت كان ذنبك على جنبك »

قلت : وهب إنى لم آت لظنى أن الـكلاب سليم ثم ظهرت علىَّ الأعراض ، أفلا يخشى أن أعدى أحداً ؟ قال : نعم يحتمل أن يتلوث شخص آخر بلعابك فيصاب . فقلت : وهل يجدى العلاج حينئذ ؟ قال كلا . لا يجدى علاج بعـد ظهور الأعراض . وما جئت إلا على نفسها براقش . ولـكن ما من أحد اشتبه بعـقر الـكلاب إياه إلا أسرع إلى المستشفى إذا لم يكن غبياً . وستزعج قليلا من الحقن بالمصل كل يوم مدة ١٥ يوماً . قلت أليس العـذاب فى سبيل الحياة خيراً من العذاب فى سبيل الهـلاك ، العذاب الذى لا يطاق والذى لا يرجى منه إلا الموت .

بغير شعب ، وإن استطاع أن يجمع الألوف تصرخ من ورائه مؤيدة وناصرة . وقد كتبت هذا مرات فى قضـــية مصر والسودان ، وفى قضية العراق ، وفى قضية الهند . فكل ما جاء فى كلامى عن حزب الشورى والاستقلال ، فهو مبنى على هذا الأصل ، وأظن أن الأستاذ الوزانى يعرف هذا مما قرأه من كلامى منذ قديم ، وأظن أنه فهم من كلامى عنه غير الذى فهم الأستاذ العلمى ، وأظن أنه لم يغضب حين قرأ ما كتبت مثل الغضب الذى احتمل الأستاذ العلمى حتى كتب ما كتب ، مما كان ينبغى أن ينزه عنه قلمه البليغ الجرىء .

وأنا أختم هذه الـكلمة بأن أدعو صديقى محمد بن الحسن الوزانى إلى صراط الحق ، إلى أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، وأتوسل إليه مرة أخرى أن ينسى نفسه ، وأن يملأ قلبه إيماناً بالحق الأعظم ، وهو حق شعبه وبلاده فى الاستقلال والحرية والـكرامة ، ذلك الحق الذى لا يتجزأ ولا يقبل مفاوضة ولا مهادنة ، وأدعوه إلى الجهاد الشديد فى سبيل هذا الحق الذى لا تستطيع فرنسا ولا إسبانيا ولا بريطانيا ولا الدنيا كلها مجتمعة أن تمحو منه شيئاً أو تغير منه قليلا أو كثيراً .

أيها الزعماء كونوا يداً واحدة ، واتـكن دعوتكم واحدة ، واصبروا فى جهادكم ، ولا تفاوضوا عدوكم فى حق شعوبكم ، ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا فتذهب ريحكم ، واعلموا أن المفاوضة ليست سوى ملل من طول الجهاد ومشقته ، وأن الملل من كواذب الأخلاق ، وأن الزعيم لا يكون زعيما إلا بأخلاقه ، وقوام أخلاقه الصدق فى كل شىء — فى العداوة والصداقة ، وفى الحب والبغض ، وفى الرضى والغضب . سدد الله خطاكم ، ومهد لـكم سبيل الهدى ، وطهر قلوبكم من كل كذب لا خير فيه .

محمود محمد شاكر

وجعلت أتردد كل يوم فى الميعاد المعين ١٥ يوماً إلى أن أمنت الداء وحصلت على مناعة سنة كاملة . وعلمت أن ذلك الكلب التعس نفق فى اليوم الثانى فى المستشفى .

قلت يوماً لمدير المكتب ، إن هذا المستشفى نعمة عظيمة للناس لا تقدَّر بمقدار . قال : ليت الناس كلهم يعرفون هذا . تأتى بكثير منهم بالوعد أو بالوعيد لكى نعالجهم مجاناً لوجه الله فلا يلبثون أن يهربوا . والذين يُجاء بهم من الأرياف ينزلون فى المستشفى فيعالجون من جراحهم ويحقنون بالمصل ويأكلون ويشربون وينامون مجاناً ومع ذلك لا يرضون !

قال لى أحد أطباء المستشفى وهو الدكتور عزى توفيق إن فى المستشفى نحو ١٧٠ سريراً فى طابقين من البناء ، وإذا زاد عدد المصابين على عدد الأسرَّة دبرناهم بالتى هى أحسن . فنضع الطفل منهم مع شخص آخر فى سرير كبير مثلا ، وقد يكون عندنا فى وقت واحد نحو ٢٢٠ مصاباً أو أكثر . ومن كان له أقارب فى القاهرة ينزل عندهم ويتردد على المستشفى فيبقى محله لغيره .

قد يدهش القارىء إذا علم أن هذا المستشفى يعالج أكثر من عشرة آلاف مصاب فى السنة يعطيهم فيها نحو ١٥٠ ألف حقنة من اللقاح الذى يحضر فى المستشفى عدا معالجة الجراح . لا تكون الإصابات من عضة كلب فقط ، بل تكون من الحيوانات الأخرى كالحمار أو الجمل أو الحصان أو الدجاج . لأن هذه تسعر كالكلاب ويعدى بعضها بعضاً وتعدى الإنسان ، فإذا عقر الحيوان الكبير إنساناً فقد يكسر ساقه أو يسحق ذراعه أو كتفه . وهذه الجروح تستغرق وقتاً طويلا وعلاجاً متواصلا فضلا عن الحقن بالمصل .

والمصل يحضر فى معمل المستشفى فيُستعمل طازجاً فى اليوم الثالث من تحضيره النهائى . ويحضر اللقاح من مخ الأرنب أو دماغه . ويمكن أن يحضر من مخ أى حيوان مصاب . ولكن الأرنب أرخص الحيوانات ثمناً وأسهلها مراساً . ويستعمل لهذا الغرض كل يوم نحو ٥٠ أرنباً تقريباً يقدمها متعهدون للمستشفى .

وأما كيفية تحضير المصل فدراسة فنية ، وهى أن تجرح جلدة قمة رأس الأرنب جرحاً بقدر سنتيمترين وتقلب إلى الجانبين ليظهر من الجمجمة قدر القرش الصغير . ثم تثقب الجمجمة ثقباً صغيراً ، ثم يحقن النخاع بنقطة من سائل فيه ميكروب الكلب ، ثم يضمد الجرح ويعاد الأرنب إلى مأواه . وفى اليوم الرابع أو الخامس تظهر عليه أعراض الداء . يبدأ بشلل فى قوائمه ، ثم تتزايد الأعراض بضعة أيام إلى أن يدنو الموت فيذبح الأرنب ويؤخذ نخاع رأسه لتحضير المصل منه .

وبينما كانت هذه العملية تعمل أمامى قلت : مسكين هذا الأرنب ! ما ذنبه حتى تثقب جمجمته لكى تزرع فى دماغه جرثومة الكلب ثم يقاسى آلام الداء وأخيراً يُقتل .

فقال الدكتور عزى توفيق الذى كان يرينى سلسلة عمليات المصل : حقاً إنه لظالم . ولكن إذا علمت أن هذا الأرنب يفدى ثلاثة أو أربعة من المصابين بهذا الداء المقام لا يعود يصعب عليك أن يؤلم أرنب لكى ينقذ أربعة أشخاص من آلام لا تطاق . ويظن أن الأرنب أقل إحساساً من الإنسان بالآلام .

يوضع مخ جرام من نخاع الأرانب فى هاون وتدهس دهساً شديداً حتى تصبح كالمجينة الرخوة . ثم تمرث بواسطة شاشة سميكة فى محلول من الملح النقى ٧ بالألف ، وعشرة بالألف من الفنيول . تمرث مرثاً دقيقاً حتى تخرج من الشاشة مستحلباً دقيقاً جداً ليس فيه كتل البتة ، ثم يصب فى زجاجة خاصة بسعة لتر وتكمل الزجاجة من المحلول الملحى نفسه . بعد ذلك تودع الزجاجات فى ثلاجة مدة ٢٤ ساعة . وفى أثناء ذلك تفحص « عيِّنة » منها فحصاً بكتيريولوجياً لئلا يكون قد تطرق إليها مكروب آخر أجنبى . ومتى ثبت أن ليس فيها مكروب ولا جراثيم حية يصبح المصل صالحاً للاستعمال .

قال الدكتور عزى : ولكن فى جميع عملياتنا لم نجد المصل ولا مرة ملوثاً بأى مكروب . على أن عملية الفحص البكتيريولوجى لابد منها للاطمئنان على سلامة من نعالجهم .

فى هذا المصل مادة مولدة من نمو المكروب فى مخ الأرنب تسمى أنتيجن Antigen . هذه المادة تولد فى جسم الشخص المحقون مادة أخرى تسمى « ضد الجسيات » Antibodies . ولها وظيفتان : الأولى أنها تتلف المادة السامة التى تولدت من مكروب الكلب بأنها تتحد معها فتتكتلان أو ترسبان ، وفى كلتا الحالتين تبطل قوتهما السامة . والثانية أنها تحرض كريات الدم البيض على

التام المكروب ، أو بالأحرى أنها تهيىء المكروب أو تطبخه ليكون غذاء لهذه الكريات التي تعتبر جنود الجسم المدافعة عنه في مدة العلاج التي تتراوح بين عشرة وعشرين يوماً حسبما يتراءى للطبيب من ظروف الإصابة ، يهلك الميكروب وينعدم سمه وينجو المصاب من العذاب والموت ، وقاك الله .

مكروب الكلب لا يرى تحت المكروسكوب ولا تمنعه مصفاة باستور Bastour Filter ويقدر حجمه بنحو $\frac{1}{100}$ من المليمتر فتأمل : ذرة لا ترى بمجهر (ميكروسكوب) ولا تفرز بمصفاة تفعل هذا الفعل الفظيع بهذا الإنسان الجبار ! تالله ما أضعف هذا الإنسان تجاه أحقر المخلوقات . فحتى متى هذه النفخة يا إنسان ! إن جرثومة صغيرة جداً كجرثومة الكلب أو الكوليرا أو الملاريا تبيد من البشر إذا لم تتق أكثر مما تبيد القنبلة الذرية .

ليس في القطر المصري غير هذا المستشفى للكلب . وإنما توجد وحدة صغيرة في الاسكندرية بإدارة الهلال الأحمر . وقد تقرر أن تتخذها وزارة الصحة وتجعلها مستشفى تاماً تحت إدارة مستشفى القاهرة . وسينشأ أيضاً مستشفى آخر في أسيوط أو في الأقصر ، وآخر في بور سعيد أو السويس ويكونان بإدارة مستشفى القاهرة — فألف شكر للحكومة الجليلة !

وكنت أود أن أعيذ القارىء من تصديع خاطره بوصف أعراض هذا الداء الخبيث لولا أن البحث يبقى ناقصاً . فأوجز الوصف ما أمكن لكي يعرف الجمهور خطر هذا الداء العقام ويتخذ الحذر الشديد من التعرض له وتعريض الآخرين . وعند أقل شبهة في كلب أو حيوان يجب أن يعرض الحيوان على الطبيب البيطري ، والطبيب بعدمه تحت المراقبة حتى إذا اشتدت الشبهة أعدمه .

ومن نكد الدنيا أن هذا المكروب اللئيم لا يتبوأ عرشه إلا في دماغ فريسته ، فيجعل جميع الجهاز العصبي تحت سلطانه . وهذا هو سر ما ينجم عنه من الآلام ؛ لأن الجهاز العصبي مصدر اللذة والألم . وتكون العدوى بعقر المخلوق المعدى إنساناً أو حيوانا أو تلويث أي غشاء مخاطي فيه كالفم أو أي جرح أو خمش أو سحج بلعاب الحيوان المسعر (المسعور) . وفي بحر أسبوع إلى أسبوعين تظهر الأعراض وأحياناً نادرة تتأخر شهراً أو أشهراً

في الإنسان تبتدىء الأعراض بهبوط عقلي وخوف شديد وهلع وترديد الكلام اللغو . ثم الهياج العصبي والاضطراب الجسدي . ثم تفقد الشهية للطعام ويستمر الأرق والصداع والشعور بما لا يطاق من الإضطراب الفظيع .

ثم يتعذر الإزدراد بسبب شلل الحلقوم والبلعوم إلى أن يستحيل البلع ، فيكره المصاب السوائل ويخاف منها وينزعج من رؤية الماء ومن سماع خريره من صنبور . ويصبح حساساً جداً لكل باعث خارجي أو حركة أو صوت أو منظر .

ثم يتشنج ويتلوى ويمتد الشلل إلى أطرافه وأحياناً يشخر وينخر فيحسبه المشاهدون نابحاً أو عاوياً . وأحياناً يعض أي شيء ، ولكن لا يلبث أن يرتخي فكه الأسفل ويتدلى ، ويمتلىء فمه لعاباً كثيفاً لزجاً لا يستطيع أن يبتلعه أو يتلمه ، وبالطبع يشتد عطشه ، ولكنه لا يستطيع الشرب ولا المضغ ؛ وتطرأ عليه حمى عالية . ومتى بلغت هذه الأعراض أشدها تضعضع العقل وذهب الوجدان وأشرف المصاب على الموت الساعة بعد الساعة .

ولو كان فقد الوجدان يبتدىء مع الأعراض لكان المصاب قليل الشعور بالألم ثم عديمه . ولكن والأسفاه يبقى واعياً شاعراً متعذباً إلى أن يقترب ملاك الموت . وقد تدوم هذه الأعراض يومين أو ثلاثة أو أكثر قبل أن يرحمه الله ويريحه من هذا الجحيم بسل روحه من جسده — اللهم رفقاً بعبادك — ترى لو أعطي المصاب جرعات من المورفين في المعضل أما تخفف عنه هذه الآلام ؟

أما وقد عرف القراء عذاب هذا الداء وعجز أي دواء عن تخفيف آلامه أو عن شفائه ، أفلا يجدر بهم أن يأخذوا حذرهم من كلابهم المحبوبة ومن اختلاطها بكلاب أخرى ؛ أو ما يجب عليهم أن يقضوا عليها في الحال بلا شفقة ولا أسف إذا ظهرت بعض الأعراض للطبيب البيطري سواء كانت الأعراض مشككة أو مؤكدة لئلا يتم البلاء في الأهل ؟ أو ما عليهم إذا لامسهم لعاب الكلب المصاب أن يسرعوا إلى هذا المستشفى الكريم لاتقاء المرض ؟

نفولي الحداد